السنة السادسة والتسعون وخمس مئة

[وفيها كان ابتداء جلوسي عند قبر الإمام أحمد ابن حنبل في يوم الأربعاء، ويجتمع خلق عظيم، وتهب على تلك المجالس من القبول نسيم، ويعرف فيها نضرة النعيم، ويصحبها كل بارد من الطيب وكل تكريم، وسلام قولاً من ربٍ رحيم][1].

ودخلت هذه السنة والحصار على دمشق، وكان أتابك رسلان شاه صاحب المَوْصل قد رحَّل الملك الكامل من مارِدِين، فقَدِمَ دمشق ومعه خَلْقٌ كثيرٌ من التركمان، وعسكر حَرَّان والرُّها، فتأخر الأفضل بالعساكر إلى عقبة شحورا سابع عشر صفر، ووصل الكامل تاسع عشره، فنزل بجوسق أبيه على الشَّرف، ورحل الأفضل إلى مرج الصُّفَّر، ورحل الظَّاهر إلى حلب، وأحرقوا ما عجزوا عن حَمْله، وسار الأفضل إلى مِصْر، وأحضر العادل بني الحنبلي النَّاصح وأخاه شهاب الدين وغيرهما، وكان الأفضل قد وعد النَّاصح بقضاء دمشق، والشِّهاب بالحِسْبة، فقال لهم العادل: ما الذي دعاكم إلى كَسْرِ باب الفراديس ومظاهرةِ أعدائي عليَّ وسَفْك دمي؟ فقال له النَّاصح: أخطأنا، وما ثَمَّ إلا عفو السُّلْطان. فقال العادل: فما بدا مني إليكم ما يوجب ذلك، ولولا أَنْ يقال عني: إنني شنقتُ فقيهاً لما أبقيتُ منكم أحداً، ولكنَّ البلد لكم فهبوه لي. فأخرجهم إلى حلب.

ثم [جرت بعد هذا واقعة عجيبة،][1] شُفِعَ في الشِّهاب بعد ذلك إلى العادل فردَّه، وكان يذكر الدرس بعد ذلك في حَلْقة الحنابلة، ويأخذ مغل الوقف، وكان في الحنابلة رجلٌ يقال له: نصر المِصْري يخدم الشيخ العماد، فأقام الشِّهاب سنين لا يعطيهم شيئاً، فاستغاثوا إلى العادل وهو في دار العَدْل، وكان [الملك الأشرف والمعظم][1] أولاد العادل وقوفاً في الخِدْمة، فقال نصر: يا سُلْطان المُسْلمين، هذا الرَّجل للوقف معه مُدَّة يأكله، ولا يوصل إلينا شيئاً! وكان ذلك في حدود سنة عشر وست مئة. فقال العادل: كم له معه سنة؟ فقال نصر: مِنْ كَسْرِ باب الفراديس. فقال الملك الأشرف: ذا تاريخ مشؤوم. فضحك العادل والجماعة.

---

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

وأما الأفضل، فإنَّه لما سار إلى مِصْر أرسل العادل وراءه أبا محمد نجيب الدِّين عَدْل الزَّبداني يقول له: ترفَّقْ، فإنَّا لك مثل الوالد، وعندي كل ماتريد. فقال للعدل: قل له: إن صَحَّ ما قلتَ فأبعدْ عنك أعدائي الصَّلاحية. وبَلَغَ الصَّلاحية، فقالوا للعادل: أيش قعودنا؟ قُمْ بنا. وساروا خَلْفَ الأفضل مرحلة مرحلة، فنزل الأفضل بِلْبِيس، ونزل العادل السَّانح، فرجع الأفضل، وضَرَبَ معهم المصافَّ، فكسروه، وتفرَّق عنه أصحابه، ودخل القاهرة، وأغلق أبوابها، وجاء العادل، فنزل البِرْكة، ودخل سيف الدين أزكش بين العادل والأفضل، واتفقوا [على][1] أن يعطيه العادل ميَّافارِقِين وجبل جور وديار بكر، ويأخذ منه مِصْر، ورحل الأفضل مِن مِصْر في ربيع الآخر، ودخل العادل القاهرة، وأحسن إلى أزكش، وقال للأَفْضل: جميع مَنْ معك كاتبني إلا سيف الدين، وقدَّم العادل أزكش، وحكَّمه في البلاد، ورَدَّ القضاء إلى صَدْر الدين عبد الملك بن دِرْباس الكُرْدي، وولَّى شيخ الشيوخ ابن حموية التدريس بالشَّافعي ومشهد الحسين، والنَّظر في خانكاه الصُّوفية، وجلس الوزير صفي الدين عبد الله بن علي بن شُكْر [وزير العادل][1] في دار السَّلْطنة في حجرة الفاضل، ونَظَرَ في الدَّواوين، [قال العماد: وأخذ القوس باريها، وأجرى الأمور على أحسن مجاريها][1].

وسار الأفضل إلى مَيَّافارقين، واستدعى العادل ولده [محمد][1] الكامل إلى مِصْر، فخرج من دمشق في ثالث وعشرين شعبان، وودَّعه أخوه المعظَّم عيسى إلى رأس الماء.

قال العماد: وسرت معه إلى مصر، وأنشدته: [من البسيط]

دَعَتْكَ مِصْرُ إلى سُلْطانها فأَجِبْ ... دُعاءها فهو حقٌّ غيرُ مكذوبِ

قد كاد يَهْضِمُني دَهْرِي فأدركني ... محمدُ بنُ أبي بكر بن أيوبِ

ووصل الكامل إلى مِصْر في عاشر رمضان، والتقاه العادل من العَبَّاسة، وأنزله في دار الوِزارة، وكان قد زوَّجه بنتَ أخيه صلاح الدين، فدخل بها، ولم يقطع العادل

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

الخُطْبة لولد العزيز، ثم إنَّه جمع الفقهاء وقال: هل تجوز ولاية الصَّغير على الكبير؟ فقالوا: الصغير مولًّى عليه. قال: هل يجوز للكبير أن ينوبَ عن الصَّغير؟ قالوا: لا، لأن الولاية من الأصل إذا كانت غير صحيحة فكيف تصح النِّيابة؟ فقطع خُطْبة ابن العزيز، وخَطَبَ لنفسه ولولده الكامل من بعده.

ونقص النيل في هذه السنة، فلم يبلغ ثلاثة عشر ذراعاً، ووقع الغلاء والوباء.

وحج بالنَّاس من العراق آق سُنْقُر وجه السبع، ومن الشام سامة الجِيْلي.

وفيها توفي

تُكُش بن رسلان شاه[1]

علاء الدِّين، خوارزم شاه، مِنْ ولد طاهر بن الحسين.

كان شجاعاً جَوَاداً، ملك الدُّنيا من الصِّين[2] والهند وما وراء النهر إلى خُرَاسان إلى باب بغداد، وكان نوابه في حُلْوان، وكان ديوانه مئة ألف مقاتل، وهو الذي كسر مملوكُه ميالجق عسكرَ الخليفة، وأزال دولة بني سَلْجوق، وكان حاذقاً بعلم الموسيقى، لم يكن في زمانه ألعب منه بالعود.

وحُكِيَ أنَّ الباطنية جَهَّزوا إليه رجلاً ليقتله، وكان يحترس كثيراً، فجلس ليلةً يلعب بالعود، وشرَّع الخيمة، فاتَّفق أنَّه غنَّى بيتاً بالعجمية وفيه ميبنم، ومعناه: قد أبصرتك. فخاف الباطني منه، وارتعد وهَرَبَ، فأُخذ، وحُمِلَ إليه، فقرَّره، فأقرَّ، فقتله.

وكان يباشر الحروب بنفسه حتى ذَهَبَتْ إحدى عينيه في الحرب، وكان يقول: الملك إذا لم يباشرِ الحربَ بنفسه لا يَصْلُحُ للمُلْك؛ لأنَّه يكون مِثْلَ المرأة.

---

(١) له ترجمة في: «الكامل»: ١٢/ ١٥٦-١٥٨ ، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٣٦٢ ، و«كتاب الروضتين»: ٤/ ٤٨٤ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٨٩-٩٠، «المختصر في أخبار البشر»: ٣/ ٩٨-٩٩ ، «العبر» للذهبي: ٤/ ٢٩٢ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٣٠-٣٣٢ ، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٢) كذا قال، وهو وهم، والصواب: من السند، كما جاء في «الوافي بالوفيات» ١٣/ ٤٢٨ ، إذ لم تدخل الصين في ملك الدولة الخوارزمية، انظر «سيرة السلطان جلال الدين» ص ٧١-٧٣ .

وكان قد عَزَمَ على قَصْدِ بغداد، وجمع وحَشَدَ، فوصل إلى دِهِسْتان، فتوفي بها في رمضان، فَحُمِلَ في تابوت إلى خُوارَزْم، فدُفِنَ عند أهله، وقام ولده محمدٌ مقامه.

عبد الرحيم بن علي بن الحسن[١]

أبو علي، [البَيْساني الكاتب][٢]، القاضي الفاضل، ولد ببيسان في سنة تسعٍ وعشرين وخمس مئة، ونشأ بمِصْر، واشتغل بعِلْم الأدب والرسائل، فَبَرَعَ فيه، وصار أوحدَ زمانه في فَنِّه، وكان صلاحُ الدِّين يقول في ملأ من النَّاس: لا تظنُّوا أني ملكتُ البلادَ بسيوفكم، بل بقلم الفاضل. [وكان يستشيره في أموره، وقد ذكرنا طرفاً من ذلك][٢]، وكان كثيرَ العبادة، تالياً للقرآن، وقد استعان بآياتِ الكتاب العزيز في كثيرٍ من رسائله، ورسائله عشر مجلَّدات.

ومن كتابٍ كَتَبَه إلى الخليفة النَّاصر يطلب منه العهد بالسَّلْطنة: فإنْ أَنْعَمَ الدِّيوان بما طلبناه وقلَّدناه، وإلا تقلدناه بما تقلَّدناه.

وسمع قائلاً ينشد: [من المتقارب]

لقد ضاعَ شِعْري على بابكُمْ ... كما ضاع دُرٌّ على خالِصَهْ

فقال: لو قُلِعَتْ عينا هذا البيت لأبصر.

ومن شعره: [من الطويل]

تقدَّمْ إلى هذا السَّحابِ فإنَّه ... أخوك بأن تنأى مطارِفُهُ عنّا

فلو لم يُصِبْنا منه صيِّبُ قَطْره ... لجادَ علينا من يمينكَ ما أغنى

[وسمع قائلاً يقول: إن المداد خَلُوق ثوب الكاتب، فقال: الكاتب النحس][٢].

---

(١) سلفت أخباره في هذا الكتاب، وله ترجمة في «الخريدة» قسم شعراء مصر: ١/ ٣٥-٥٤ ، و«معجم البلدان»: ١/ ٥٢٧ ، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٣٥١-٣٥٢ ، و«كتاب الروضتين»: ٤/ ٤٧٢-٤٨٣ ، «وفيات الأعيان»: ٣/ ١٥٨-١٦٣ . و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٣٨-٣٤٤ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

وكان [الفاضل][1] ممدَّحاً، [قال العماد][1]: مُدح بمئة ألف بيت من الشِّعْر، وكان منجذباً عن النَّاس، إذا سلَّم عليه من لا يعرفه آذاه، وإذا التقاه إنسان ولم يُسَلِّم عليه أغناه.

ذِكْرُ وفاته:

لما تيقَّن استيلاء العادل على القاهرة دعا على نفسه بالموت خوفاً من ابن شُكْر [وزير العادل][1]، فإنه كانت بينه وبينه وَحْشة، فخاف أن يستدعيه ويهينه، فقام تلك الليلة يبكي ويتضرع [ويصلي][1]، فأصبح مَيْتاً، [وحكي عن][2] الملك المحسن بن صلاح الدين: اتَّفق يوم وفاة الفاضل يوم دخول العادل إلى القاهرة، دخل مِنْ باب النَّصْر، وخرجنا بجِنازته من باب زويلة.

وقال العماد الكاتب في حوادث سنة ستٍّ وتسعين وخمس مئة: وفيها تمَّت الرَّزِيَّة الكبرى والنكبة العُظْمى بانتقالِ الفاضل من دار الفناء إلى دار البقاء، وذلك في سادس ربيع الآخر يوم الثلاثاء، وكان فيه مصافّ الأفضل يوم الكسرة، ومصاب الفاضل يوم الحسرة، وكان قد باتَ صحيحاً من الأسقام، فقال لغلامه: رَتِّبْ حوائجَ الحَمَّام، ولم يعلم بقُرْب الحِمَام، فأصبح وقد قضى سعيداً، ومضى حميداً، وله بسيِّد المُسْلمين أُسوة، وهو وإن عَرِيَ عن رداء العمر فله من حُلَل البقاء في عِلِّيين أفخر كُسْوة، ولم يُبْقِ في مُدَّة حياته عملاً صالحاً إلا قدَّمه، ولا عَقْداً في أبواب البِرِّ إلا أَحْكَمَه، فإنَّ صنائعه قلائد في الرِّقاب، وأوقافه على سُبُل الخيرات متجاوزة الحساب، فهي باقيةٌ على الدَّوام من خلاصِ الأُسارى، والتُّرْبة والمدرسة والفقراء والأيتام على مرور الأيام، بحبائه باقية إلى يوم نَشْر العظام، وكانت كتائبه كتائبَ النَّصْر، وبلاغته تفوق بلاغة أهل العَصْر، والكرامُ في ظِلِّه يقيلون، ومن عثرات النَّوائب بفضله يستقيلون، وبعزِّ حمى حمايته يعزون، ولهزِّ عِطْفه يهتزُّون، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون، ولأوامره منقادون، ودُفِنَ بتربته

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): «وقال الملك المحسن»، والمثبت مابين حاصرتين من (م) و(ش).

في القَرَافة، وبنى مدرسة بالقاهرة، ووقف عليها أوقافاً مخلَّدة، ونقل إليها بعضَ كتبه، وكانت كُتُبُه مئةَ ألف مجلَّدة، ووقف على الأُسارى وَقْفاً عميماً، فاستنقذ به خَلْقاً عظيماً.

وهجاه ابنُ عُنَيْن، فأشار على صلاح الدين بنفيه من البلاد، فنفاه إلى الهند، وهجاؤه معروف.

مَنْ أنت يا هذا وما بَيْسان

الأبيات[١].

وقوله: والفاضل الفاضل[٢].

وما زال الفاضلُ ممدَّحاً، وفيه يقول الوجيه المِصْري: [من مجزوء الكامل]

في كَفِّه قَلَمٌ يُرِيْـ ـكَ القضاءَ مُقَدَّرا
ما نَوَّرَ الظلماءَ غيـ ـرُ مِدادِه إذْ نَوَّرا

عبدُ اللَّطيف بن إسماعيل[٣]

ابن شيخ الشيوخ أبي سَعْد، أبو الحسن، صفي الدِّين، [وعبد اللطيف أخو أبي القاسم عبد الرحيم شيخ الشيوخ][٤].

ولد سنة ثلاث وعشرين وخمس مئة، وسمع الحديث، وكان شيخَ الرِّباط الذي بالمشرعة شرقي بغداد، خرج حاجًّا من بغداد، ثم ركب البحر إلى مِصْر، فتاه بهم المركب أياماً، ثم أرسى بعيداً، فزار الشَّافعي رحمة الله عليه، وجاء، فزار الخليل عليه السَّلام، والقُدْس، وقَدِمَ دمشق، فتوفي بها في ذي القَعْدة، ودُفِنَ بمقابر الصُّوفية عند المُنَيْبع، [سمع والده أبا البركات إسماعيل، وقاضي المارستان، وأبا القاسم بن السمرقندي وغيرهم][٤]، وكان صالحاً ثقةً، رحمه الله تعالى.

---

(١) انظر الأبيات في «ديوان ابن عنين»: ١٨٨-١٨٩.

(٢) انظر «ديوان ابن عنين»: ١٩٠.

(٣) له ترجمة في: «التكملة»: للمنذري ١/ ٣٧٠-٣٧١، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٩٠، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٣٤-٣٣٥، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٤) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

علي بن نَصْر بن عقيل البغدادي[١]

ويعرف بالهُمام العَبْدِي الشَّاعر.

قَدِمَ الشَّام سنة خمسٍ وتسعين وخمس مئة، ومَدَحَ العادل، والأمجد صاحب بَعْلَبَكّ، ومن شعره: [من الطويل]

وما النَّاسُ إلا كامِلُ الحَظِّ ناقِصٌ ... وآخرُ منهمْ ناقِصُ الحَظِّ كامِلُ

وإني لمُثْرٍ من حَيَاءٍ وعِفَّةٍ ... وإنْ لم يكن عندي من المال طائِلُ

قَيْماز النَّجْمي صارم الدين[٢]

كان من أكابر مماليك نجم الدين أيوب، وكان عظيمَ القَدْر عند صلاح الدين، إذا فَتَحَ بلداً سلَّمه إليه واستأمنه عليه، وكان كثيرَ الصَّدقات وأفعال الخير، بنى القنطرة التي بين خِسْفين ونوى وغيرها، والمدرسة المجاورة لداره بدمشق بجنب باب القلعة، وكان العادل قد جعله بدمشق مع ولده المُعَظَّم عيسى ثقةً به، فتوفي بدمشق في جُمادى الأُولى، وظهرت له أموالٌ عظيمة، فيقال: إنه وُجِدَ له في أسفل البركة مئة ألف دينار.

كامل بن الفَتْح[٣]

أبو تمام بن سابور، النَّحْوي.

توفي في جُمادى الآخرة، ودُفِنَ بباب حرب، ومن شعره: [من البسيط]

وفي الأوانسِ من نُعمانَ آنسةٌ ... لها من القَلْبِ ما تهوى وتختارُ

---

(١) وكذا ورد اسمه هنا، وتابعه على ذلك أبو شامة في «كتاب الروضتين»: ٤/ ٤٧٠، وتابعه ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٥٨، وسماه أبو شامة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٩٤-٩٥، الحسن بن علي، وهو الأرجح، وسماه كذلك المنذري في «التكملة»: ١/ ٣٥٩-٣٦٠، وابن الدبيثي في «المختصر المحتاج إليه»: ٢/ ١٨-١٩، وابن شاكر في «فوات الوفيات»: ١/ ٣٣٦، والصفدي في «الوافي بالوفيات»: ١٢/ ١٢٩-١٣٠.

(٢) له ترجمة في «كتاب الروضتين»: ٤/ ٤٦٤-٤٦٥.

(٣) له ترجمة في: «معجم الأدباء» ١٧/ ١٩، و«إنباه الرواة»: ٣/ ٤١، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٣٥٦-٣٥٧، و«تكملة ابن الصابوني»: ٢٦-٢٧، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٩٢، و«نكت الهميان»: ٢٣١، و«الوافي بالوفيات» ٢٤/ ٣١٣-٣١٤، و«فوات الوفيات»: ٣/ ٢١٧.

ساوَمْتُها نَفْثةً من رِيْقها بدمي ... وليس إلا خفيَّ الطَّرْفِ سِمْسارُ
عند العذولِ اعتراضاتٌ ولائمةٌ ... وعند قلبي جواباتٌ وأعذارُ

الحاجب لؤلؤ بن عبد الله[١]

الذي [ذكرنا أنه][٢] أخذ مراكب الفرنج من بحر القُلْزُم، كان شجاعاً جَوَاداً، كثيرَ الصَّدقات، [قال العماد:][٢] وقع الغلاء بمِصْر في السَّنة الماضية وهذه، فكان يخبز كل يوم أربعة وعشرين ألفَ رغيف يفرِّقها في الفقراء، وفي غير الغلاء كان يخبز في كلِّ يومٍ اثني عشر ألفاً، وكان صائماً [قائماً][٢]، متعبِّداً، وكانت وفاته بالقاهرة في جمادى الأُولى.

محمد بن عبد الله البَلْخي[٣]

الواعظ، ويلقب بالنِّظام.

ولد ببَلْخ سنة ستٍّ وعشرين وخمس مئة، [وقدم بغداد][٢]، فوعظ بها في النِّظامية وباب بَدْر، وجامع القَصْر، ومدرسة أبي النَّجيب، ودار ابن حديدة الوزير.

وكان فصيحاً، مليحَ الصَّوت، متشيِّعاً، أنشد يوماً في النظامية: [من البسيط]

سقاهُمُ اللَّيلُ كاساتِ السُّرى فغدوا ... منه سُكارى كأَنَّ الليل خَمَّارُ
وصيَّرَ الشَّوْقُ أطواقاً عمائمهم ... لا يعقلونَ أقامَ الحيُّ أم ساروا
ونسمةُ الفَجْر إذ مرَّت بهم سَحَراً ... تمايلوا وبَدَتْ للسُّكْرِ آثارُ

[فلم يبق في المجلس إلا من صاح وقام وتواجد][٢].

وأنشد أيضاً: [من الطويل]

مددتُ يدي في الحُبِّ نحوك سائلا ... وقلتُ لجَفْني أَذْرِ دَمْعَك سائلا

---

(١) سلفت أخباره في سنة ٥٧٨هـ، وله ترجمة في «التكملة» للمنذري: ١/ ٤١٧، و«كتاب الروضتين»: ٤/ ٤٦٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٨٤-٣٨٥، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٣٠٤، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٣٣٦، وعندهم وفاته سنة ٥٩٨هـ، إلا في «الروضتين» فوفاته سنة (٥٩٦هـ).

(٢) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «التكملة»: للمنذري ١/ ٣٤٦، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٩٣ و«المختصر المحتاج إليه» ١/ ٦٠، و«المستفاد من ذيل تاريخ بغداد»: ٩٥-٩٧، و«الوافي بالوفيات» ٣/ ٣٤٣-٣٤٤، و«لسان الميزان»: ٥/ ٢١٧-٢١٨.

تفقَّهْتُ في عِلْمِ الصَّبابة والهوى فمن شاء فليُلْقِ عليَّ المسائلا

وحُكي أَنَّه نُقِلَ إلى الخليفة عنه أَنَّه يعاشر النِّساء [ويرتكب المحرمات][1]، فأرسل إليه الوزير وهو على المِنْبر، فقال: قد رسم [الخليفة][1] أن تخرج من البلد، فأنشد: [من الطويل]

أبابلُ لا وادِيْكِ بالجُوْدِ مُفْعَمٌ لديَّ ولا نادِيْك بالرِّفْد آهِلُ
لئن ضِقْتِ عني فالبلادُ فسيحةٌ وحَسْبُكِ عاراً أَنَّني عنكِ راحِلُ
وإن كنتِ بالسِّحْرِ الحَرَام مُدِلَّةً فعندي من السِّحْرِ الحلالِ دلائلُ
قوافٍ تُعِيرُ الأعينَ النُّجْلَ حُسْنَها فأيُّ مكانٍ خَيَّمَتْ فَهْو بابِلُ[2]

وأُخرج إلى الجانب الغربي من بغداد، فماتَ، ودفن في مقابر قريش في صفر.

محمد بن عبد المنعم بن أبي الفضائل[3]

الصُّوفي المِيْهَني ويلقب بالركن، [وهو أخو بهاء الدين، شيخ رباط الخلاطية، وكان الركن شيخ رباط البسطامي][1]، وكان جَوَاداً سَمْحاً، لم يكن في أبناء جنسه من يضاهيه في الكرم، ما طلب منه أحدٌ شيئاً فمنعه، حتى كان يخرج وفي رِجْله مَدَاس، فيرجع حافياً، ويخرج وعليه ثوبان ويرجع عُرْياناً، وكانت له خلواتٌ ومحاضرات، [وسمع الحديث من شُهْدة وغيرها][1]، وتوفي في ذي الحِجَّة، ودفن بالشُّونيزية [عند والده أبي الفضائل][1].

محمد الطوسي الواعظ[4]

[قد ذكرنا أنه][1] قَدِمَ بغداد، و[أنه][1] كان يركب بالسَّنْجق والسيوف المُسَلَّلة والغاشية المرتفعة والطَّوْق في عُنُق البغلة، فَمُنِعَ من ذلك، فسافر إلى مِصْر، ووعظ،

(١) مابين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) الأبيات للأبيوردي، وهي في «ديوانه»: ١/ ٣٧٧ .

(٣) له ترجمة في: «التكملة» للمنذري: ١/ ٣٦٦-٣٦٧ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٩٥ .

(٤) له ترجمة في: «التكملة» للمنذري: ١/ ٣٦٤-٣٦٥ ، و«كتاب الروضتين»: ٤/ ٤٦٧-٤٦٨ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٩٤ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٨٧-٣٨٩ ، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٢٩٤ ، و«الوافي بالوفيات»: ٥/ ٦، ٩ ، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٦/ ٣٩٦ ، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٥٩ ، و«حسن المحاضرة»: ١/ ٤٠٧ ، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٣٢٧ .

وأظهر مذهب الأشعري، وثارت عليه الحنابلة، [وكان يجري بينه وبين زين الدين ابن نُجَيَّة العجائب من السِّباب، ويكفِّر بعضُهم بعضاً، وكان قد أُعطي منازل العِزّ، فدرَّس بها مذهب الشافعي][1]، وكان جبَّاهاً بالقبيح؛ دخل يوماً على العادل، وعنده وزيره ابن شُكْر، فقال للعادل: أنت فِرْعون وهذا هامانك، فأقامه العادل.

و[حكى لي مشايخ مصر، قالوا:][1] دخل يوماً على الملك العزيز وكان قد تَرَكَ شُرْبَ الخمر وتاب، فوجده قَلِقاً، فقال: مالك قلقاً؟ أحضرِ السَّاعة الخمر واشرب، فَشُرْبُك خيرٌ من توبتك، فلما خرج قال العزيز: أنا الواعظ لا هذا.

وكان قليلَ البضاعة في الوعظ، وإنما كان ينتسبُ ويدَّعي دعاوى عريضة، أنشد يوماً [للمتنبي]: [من الكامل]

أنا صخرةُ الوادي إذا ما زوحمتْ ... فإذا نطقتُ فإنني الجَوْزَاءُ

فكتَبَ إليه بعضُهم رقعةً: أنت صخرةُ الوادي، أما الجوزاء فلا، [وكانت وفاته في ذي القعدة، ودفن بالقرافة][1].

و[بلغني أنه][1] سُئِلَ: أيُّما أفضلُ دم الحسين عليه السَّلام أو دم الحلاج؟ فقال: قطرةٌ من دمِ الحسين أفضلُ من مئةِ ألف دم مثل دم الحلاج، فقال السائل: فَدَمُ الحلاجِ كَتَبَ على الأرض: الله، الله، ولا كذلك دم الحسين، فقال: المتَّهم يحتاجُ إلى تزكية.

قال المصنف رحمه الله: وهذا الجواب صحيح [إن لو ثبت أن دم الحلاج كتب الله، ولم يصح، والدم نجس، فكيف يكتب الله؟!][2]، وكانت وفاة الطُّوسي في ذي القَعْدة، ودفن بالقَرَافة.

السنة السابعة والتسعون وخمس مئة

فيها استناب الخليفة نصير الدين [ناصر ابن] مهدي في الوِزارة، وأَذِنَ للقاضي ابنِ الشَّهرزوري في الخروج من بغداد.

---

(١) مابين حاصرتين من (م)و (ش).

(٢) في (ح): «إذ لو ثبت ذلك لم يصح»، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).